وإذا أضفت إلى هذا أن أبا الأسود كان من القراء ، أخذ القراءة عن عثمان وعلى ، ثم أقرأ ابنه أبا حرب ، وتلميذه يحيى بن يعمر[1] ؛ وأن أبا الأسود كان لبقا ، فطنا ، ذكيا ، لقنا . وأنه كان من أكمل أهل زمانه رأيا ، وأرشدهم عقلا ، وأسرعهم جوابا ، وأحضرهم بديهة ، وأوثقهم حديثا . وأنه كان شاعرا ، وله شعر مروى يمكن أن يكون فى الصف الأول مع متقدمى شعراء زمانه . وأنه كان له من ولايته بعض الأعمال دراية بشئون الناس وأعمالهم . وأنه خالط الأعاجم كثيرا بحكم وجوده فى العراق مدة طويلة من حياته — إذا أضفت هذا كله إلى ما سبق — آمنت بأنه أول من فكر فى وضع المبادىء العامة التى يضبط بها اللسان العربى ، أو هو بدأ ووضع كلاما فى بابى الفاعل والمفعول ولم يزد ، ثم أضاف غيره إليهما . ويرى ذلك ابن سلام .

ويمكن أن نقول : إن المناسبات أوحت إليه بفعل ما فعل ؛ فهو حين أخطأت بنته فى صياغة أسلوب تعجبى وجعلته فى صورة أسلوب استفهامى — وضع أصول باب التعجب ، وأصول باب الاستفهام . وحين سمع أو نقل له أن بعض الناس قرأ . . . أن الله برىء من المشركين ورسوله « بكسر اللام » ، وضع مبادىء عامة فى باب العطف . وحين روى له زياد اللحن الذى سمعه ، وهو : توفى أبانا ، وترك لنا

---

(١) أديب فقيه نحوى مبرز ، أخذ النحو عن أبى الأسود . نفاه الحجاج إلى خراسان لقولة لم تعجبه . توفى سنة ١٢٩ هـ .